

غاية المرام في علم الكلام

وهذا مما يلزمكم فيه المناقضة في أحد أمرين إما في القول بإيجاب المعرفة بالعقل وإما في القول بأن المعرفة مناطة بالرسول كيف وأن الرسول على الحقيقة ليس إلا المبلغ لكلام الغير كما حققناه سلفا فلو لم يكن للباري تعالى كلام غير كلام الرسول هو مدلول كلام الرسول وكلام الرسول عبارة عنه لم يكن بذلك رسولا كما تقرر .

وهذه المحالات كلها إنما لزمنا من القول بأن المتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام فقد بطل ما تخيلوه وانقطع دابر ما توهموه وظهر كون الباري متكلمًا بكلام قائم بذاته مختصا به كاختصاصه بباقي صفاته .

ويلزم من ذلك أن يكون قديما أزليا وإلا كان الباري تعالى محلا للحوادث وقد أبطلناه .

وما قيل من أنه يلزم منه الكذب فيما يتضمنه من الأخبار فحاصله يرجع إلى محض التشنيع ومجرد التهول وعند التحقيق تظهر مجانبته للذوق والتحصيل ولئن سلطنا ما ذكره بعض الأصحاب من أن الكلام قضية واحدة ولا يتصف بكونه أمرا ونهيا وخبرا واستخبارا إلا عند وجود المخاطب واستكمال شرائط الخطاب زال الشغب واندفع الإشكال ولئن توسعنا إلى ما سلكه الإمام أبو الحسن الأشعري C من أنه متصف فيما لم يزل بكونه أمرا ونهيا وخبرا إلى غير ذلك فغير بعيد أن يكون في نفسه معنى واحدا